

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١١ - سورة المسد

ويقال سورة أبي لهب ، مكية وآياتها خمس .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)

[٢] (مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ)

[٣] (سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ)

[٤] (وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)

[٥] (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)

« تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » أى خسرت يدها ، وخسر هو . واليدان كناية عن الذات والنفس ، لما بينهما من الزوم فى الجملة ، أو مجاز من باب إطلاق الجزء على الكل . وجملة (وتب) مؤكدة لما قبلها ، أو المراد بالأولى خسارته فيما كسبه وعمله بيديه ، حيث لم يفده ولم ينفعه . وما بعده عبارة عن خسارته فى نفسه وذاته ؛ لأن سعى المرء لإصلاح نفسه وعمله . فأخبر بأن محروم منهما ، كما تشير له الآيتان بعد : أعنى هلاك عمله وهلاك نفسه . وقال ابن جرير^(١) : كان بمض أهل العربية يقول قوله : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) دعاء عليه من الله . وأما قوله : (وَتَبَّ) فإنه خبر . أى عما سيحقق له فى الدنيا والآخرة . وعبر عنه بالماضى لتحققه .

وأولهب أحد عمومة النبي صلى الله عليه وسلم ، واسمه عبد العزى . وقد اشتهر بكنيته وعرف بها لولده له يقال له لب . أو لتلعب وجنتيه وإشراقهما . مع الإشارة إلى أنه من أهل النار ، وأن ماله إلى نار ذات لب . فوافقت حاله كنيته ، فحسن ذكره بها .

(١) انظر الصفحة رقم ٣٣٦ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

قال الرواة: كان أبو لهب من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ. وأذية له وبغضة له وازدراء به وتنقصا له ولدعوته، ومات على كفره بعد وقعة بدر ولم يحضرها. بل أرسل عنه بديلا. فلما بلغه ما جرى لقريش مات غما - وقد روى الشيخان^(١) عن ابن عباس قال: لما نزلت^(٢) (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد النبي ﷺ على الصفا ونادى: يا بني قهر! يا بني عدى! (لبطون من قريش) حتى اجتمعوا. فجعل الرجل إذا لم يستطع أرسل رسولا، لينظر ما هو. فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدق؟ قالوا: نعم. ما جربنا عليك إلا صدقا. قال: فإني لكم نذير بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبألك سائر اليوم. ألهذا جمعتمنا؟ فنزلت هذه السورة. وروى الإمام أحمد^(٣) عن ربيعة بن عباد الديلي قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي الحجاز وهو يقول: يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله، فتلاحوا. والناس مجتمعون عليه. ووراءه رجل وضىء الوجه أحول، ذو غدirtين، يقول: إنه صابئ كاذب. يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب. وفي رواية له: يتبعه من خلفه يقول: يا بني فلان! هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة. فلا تسمعوا له ولا تنبموا. «مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ» أي أي شيء أغنى عنه ماله وما كسبه من سخط الله عليه وخسرانه. فكسبه هو عمله الذي يظن أنه منه على شيء. وقيل: ولده. لقرن الأولاد بالأموال في كثير من الآيات. وكانت العرب تمد أولادها للنائبات كالأموال، ففنى إغناءها عنه حين حل به التباب.

(١) أخرجه البخاري في: ٦٥ - كتاب التفسير، ١١١ - سورة المسد، - حدثنا

يوسف بن موسى، حديث رقم ٧٣٩.

وأخرجه مسلم في: ١ - كتاب الإيمان، حديث رقم ٣٥٥ (طبقتنا).

(٢) [٢٦ / الشعراء / ٢١٤]. (٣) أخرجه بالصفحة رقم ٣٤١ من الجزء الرابع.

قال الشهاب : والذي صححه أهل الأثر أن أولاده ، لعنه الله ، ثلاثة : معتب وعقبة
 وها أسما . وعتيبة (مصغراً) وهذا هو الذي دعا النبي ﷺ لما جهر بإيدائه وعداوته ،
 ورد ابنته وطلقها . وقال صلوات الله عليه وسلامه : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك .
 فأكله السبع في خرجة خرجها إلى الشام . وفيه يقول حسان^(١) رضي الله عنه :

من يرجعُ العامَ إلى أهلهِ فأُكِيلُ السَّبْعِ بِالرَّاجِعِ

ثم قال . ولهب هو أحد هؤلاء فيما قيل ، قال الثعالبي : ومنه يعلم أن الأسد يطلق عليه
 كلب . ولما أضيف إلى الله ، كان أعظم أفراد « سَيَّصَلِي نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ » أى توقد
 واشتعال ، وهى نار الآخرة ، جزاء ما كان يأتيه من مقاومة الحق ومحادثته « وَأَمْرَأَتُهُ
 حَمَّالَةَ الْخَطْبِ » أى وسيصلها معه امرأته أيضاً : ذ (امرأته) مرفوع عطفاً على الضمير
 فى (سيصلى) أو على الابتداء ، و (فى جيدها) الخبر . وقرئ (حمالة) بالنصب على الشتم
 والذم ، وبالرفع نعتاً أو بدلاً أو عطف بيان . إنما قيل لها ذلك لأنها كانت تحطب الكلام
 وتمشى بالنميمة . كما قاله مجاهد وعكرمة وقتادة .

قال الزمخشري : ويقال للشاء بالتمام الفساد بين الناس ، يحمل الحطب بينهم ، أى يوقد
 بينهم ويورث الشر ، قال^(٢) :

من البيض لم تُصْطَدْ على ظهر لامةٍ ولمْ تَمْشِ بين الحى بالخطبِ الرطبِ

يعدحها بأنها من البيض الوجوه وأنها بريئة من أن تُصْطَادَ على سوء ولؤم فيها . ومن
 أن تمشى بالسعاية والنميمة بين الناس . وإنما جعل رطباً ليدل على التدخين الذى هو زيادة
 الشر . ويقال : فلان يحطب على فلان ، إذا أغرى به .

(١) لم أعر عليه فى ديوان حسان ، فى طبيعته .

(٢) استشهد به فى الكشف فى تفسير السورة .

واستشهد به فى اللسان بالمجلد الأول بالصفحة رقم ٣٢٢ (طبعة بيروت) .

وقال : يعنى بالحطب الرطب ، النميمة .

قال الشهاب : وهي استعمارة مشهورة لطيفة ، كاستعمارة حطب جهنم للأوزار .
قال ابن كثير : وكانت زوجته من سادات نساء قريش ، وهي أم جميل ، واسمها (أروى)
بنت حرب بن أمية . وهي أخت أبي سفيان وعمه معاوية . وكانت عوناً لزوجها على كفره
وجحوده وعناده « فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ » قال الإمام رحمه الله : أى فى عنقها حبل
من الليف . أى أنها فى تكليف نفسها المشقة الفادحة ، للإفساد بين الناس وتأريث نيران
العداوة بينهم ، بمنزلة حامل الحطب الذى فى عنقه حبل خشن ، يشد به ما حمّله إلى عنقه ،
حتى يستقل به . وهذه أشنع صورة تظهر بها امرأة تحمل الحطب ، وفى عنقها حبل من
الليف ، تشد به الحطب إلى كاهلها ، حتى تكاد تخنق به .

وقال أيضا : قد أنزل الله فى ابن لهب وفى زوجته هذه السورة ، ليكون مثلاً يعتبر به من
يعادى ما أنزل الله على نبيه ، مطاوعة لهواه وإيثارا لما ألفه من العقائد والعوائد والأعمال ،
وأغتراراً بما عنده من الأموال ، وبما له من الصولة أو من المنزلة فى قلوب الرجال ، وأنه لا تغنى
عنه أمواله ولا أعماله شيئاً . وسيصلى ما يصلى . نسأل الله العافية .